



هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

الاسئلة و الفتاوى

الإذاعة الأردنية - اللقاء المفتوح

2024-04-29

الأردن

عمان

الدكتور حسين:

السيدات والسادة، المُستمعون والمُستمعات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حَيَّاكُم اللهُ بِأَطْيَبِ تَحِيَّاتِهِ، وَأَهْلًا وَمَرْجَبًا بِكُمْ فِي مُسْتَهْلِ هَذِهِ الْحَلَقَةِ الْجَدِيدَةِ مِنَ اللَّقَاءِ الْمَفْتُوحِ، وَبِرَنَامِجِكُمْ فَكْرٌ وَحَضَارَةٌ، وَفِيهِ تَتَابَعُ سِلْسَلَةُ حَوَارَاتِنَا الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَأْتِيكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْعِدِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ، يَصْحَبِكُمْ فِيهَا حَسِينُ الرَّوَاشِدَةِ، عِنْوَانُ حَلَقَةِ الْيَوْمِ: **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟** قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَّرُوا مَأْعَلُوا تَبِيرًا (7)

(سورة الإسراء)

وقال سبحانه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)

(سورة يونس)

صدق الله العظيم

مقدمة:

وردت كلمة الإحسان ومشقاتها في القرآن الكريم نحو مئة وتسعين مرة، جاءت مرتبطة بالإيمان، والإسلام، والتقوى، كما افتتن الإحسان بأسماء الله وصفاته، وأفعال الأنبياء والصالحين والأبناء البترة، ومن معاني الإحسان الجمال والطيب، والإتقان، والإيجاد، والنصر، واليز، والمعروف، وتوزعت لفظة الإحسان في القرآن الكريم على أكثر من ثلاثين وجهاً لغوياً، من بينها حسن، وأحسن، والخسنى، والمحسنون وغيرها، لم يعني أن الإحسان يتصرف في كل المواقع، والمواضع، والعلاقات، والأحكام، والأخلاق، وفي مجالات العلاقة مع الله تعالى ومع البشر، فيما يتعلق بالأفراد، والجماعات، والدول، والأمم، كما أن هنالك علاقة تبادلية بين الإحسان والإتقان، الإتقان عمل يتعلق بالمهارات الإنسانية المكتسبة، فيما الإحسان طاقة داخلية تنمو في الإنسان، فتغديه، والإحسان بهذا المعنى وصفة للجودة الحضارية المنسجمة مع خيرية هذه الأمة.

وفي إطار المفهوم يمتد الإحسان من معنى الإنعام على الغير إلى معنى الإحسان في فعله، أو أنه ما ينبغي أن يفعل من الخير، أو أنه المعاملة الفضلى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها، وهو بهذه الوجوه مرتبط بالجمال والزيادة في المعروف والتجويد بالعمل، كما أنه متطابق تماماً مع جوهر الإيمان ومقاصد الدين، وإذا كان لله تعالى برأي ابن القيم تصرفات في الكون، أحدهما بالمشيئة والآخر بالإرادة، فإن قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)

(سورة الرحمن)

هو خيار للإحسان بموجب المشيئة، وقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

(سورة النحل)

هو تصرف بموجب الإرادة، الأول إشارة إلى قانون، أما الآخر فأمر وتشريع، مشيئة الله اقتضت أن نمضي في الإحسان، باعتباره سنة تسري على العالمين، فيما إرادته عز وجل اقتضت أن تتوجه إلى اختيار الإحسان باعتباره الأصلح لنا في الدنيا والآخرة.

في هذه الحلقة نستعرض مفهوم الإحسان في القرآن الكريم، ونطرح سؤالين اثنين: ما معنى الإحسان؟ وما دلالاته في القرآن الكريم؟ ثم ما وظائفه ومجالاته وآثاره في حياتنا، وفي علاقاتنا مع الخالق عز وجل ومع الناس أجمعين؟

أرجب بصيفي فضيلة الدكتور بلال نور الدين، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته دكتور بلال.

الدكتور بلال نور الدين:

وعليكم السلام والإكرام، بارك الله بكم أستاذ حسين، وشكراً لهذه المقدمة الطيبة اللطيفة.

الدكتور حسين:

حياكم الله، أنا أشكر، دائماً تكون معنا صيفاً عزيزاً، وأسأل الله دائماً أن يجزيك عنا كل الخير.

ما معنى الإحسان دكتور بلال؟ يعني أحياناً ينصرف الموضوع إلى جانبٍ ديني بحت، في علاقة الإنسان مع الله تعالى، لكن هل الإحسان ينحصر في هذا المفهوم فقط؟

لا أبالغ أخي دكتور حسين إن قلت إن الإحسان هو في كل مجالات حياتنا، في كل مجال دون استثناء، كل شيء يحتاج إلى الإحسان، فالإحسان لغةً هو أن يأتي الإنسان بالفعل الحسن على وجهٍ حسن وأن يصنع الجميل، وهذا يشمل كل شيء، فيحسب الإنسان في علاقته مع ربه ابتداءً، ويحسب في علاقته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يحسب مع مخلوقات الله، ليس البشر فقط لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْكُمْ شَفَرَتَهُ، وَلِيُبَيِّنَ }

{ دَبِيحَتَهُ }

(صحيح أبي داود)

وشيءٍ أعظمُ كلمةً في اللغة، بدءاً بكلمةٍ في عربيتنا هي شيء، فهي تُطلق على كل شيء، فالله كتب الإحسان على كل شيء، قال: **(إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)** حتى مع الحيوان، **(وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ)** إذا حتى في علاقتنا مع الحيوان هناك إحسان، حتى مع الجماد، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَزْوَةِ ثَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَسْرَفْنَا عَلَى الْمَدْيَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُخْدُ، جَبَلٌ يُجْبِنُنَا وَنُجْبُهُ }

(صحيح البخاري)

فالإحسان يشمل كل شيء، بدءاً بعلاقة الإنسان بخالقه وانتهاءً بعلاقته مع الموجودات، يعني لو أنه كتب على ورقةٍ من الأوراق ثم بقي فيها مكاناً فارغاً، فإن من الإحسان أن لا يُلفها بل أن يستخدمها كاملةً حتى يُرشد استخدام الأشياء، هذا من الإحسان، فالإحسان يشمل كل علاقتنا، كل حياتنا، كل علاقةٍ بكل شيءٍ يمكن أن يكون فيها إحساناً أو إساءة.

بهذا المعنى إذا كان الإحسان هو الضابط لحركة الإنسان في هذا الكون، كيف يكون هذا الضابط؟ أو كيف يتصرّف هذا الضابط؟ أو ما المطلوب من الإنسان في إطار هذا الضابط أن يتحرك؟

بارك الله بكم، الحقيقة المطلوب منه أن يأتي بالشيء الحسن، الله تعالى يقول في كتابه: **(إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)** وحيثما قرأت في كتاب الله إن الله يأمر، فكأن الله تعالى يقول لك انظر إلى الأمر قبل أن تنظر إلى الأمر، لأنك تُبادر إلى تنفيذ الأمر بقدر معرفتك بالأمر، فإذا قُلت لشخص ما إن أباك يأمرك أن تذهب، يقول لي سمعاً وطاعةً فأبي صاحب الفضل عليّ، إن أمك تأمرك أن تُساعدها، يقول: أمي الله أكبر، ومالي لا أساعدها؟! فإذا قلت لك إن الله يأمر، فهل علمت من الأمر؟ إنه الله، بم يأمر جلّ جلاله؟ **(إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)** العدل تفعله المحاكم، يفعله كثير من الناس، يقول لك: أريد حقّي كاملاً، لكن الله لا يأمر بالعدل فقط، الإحسان فوق العدل، العدل أن تأخذ حقك، لكن الإحسان أن تتنازل أحياناً عن بعض حقك، العدل أن تقول حقوق وواجبات، أن يقول الزوج مثلاً أنا لي حقّ وعليّ واجب، أدبّيت واجبي فلماذا لم أخذ حقّي؟ يتعامل بمبدأ العدل، لكن الله لا يأمر بالعدل فقط، لأنّ الحياة لا تستقيم بالعدل فقط، فلو أنّ كل إنسان قاضى الآخرين بما له قبل أن يُعطي ما عليه أو بعده، ما كل الناس في سوية واحدة، فالحياة لا تستقيم بالعدل فقط، فقال: **(إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)**، فالعدل والإحسان صنوان لا يفترقان، فكما أنّك أحياناً تُطالب بالعدل، فعليك أن تبدل الإحسان، عندها تستقيم حياة الناس.

مرتبة الإحسان فوق مرتبة العدل، يمكن أن تحصل على العدل، يعني واحد قتل واحد، يمكن أن يحكموا له وأن يُقتل منه، يأتي الإحسان هنا ليضيف معنىً آخر في العفو.

نعم يعني سياره في حدودٍ مُعيّنة، بسرعه طبيعيه صدمت شخصاً، العدل حكم القضاء له بشيء، لكن الإحسان أن تنظر إلى حال هذا الشخص، الذي سيُسجن، الذي سيقضي في السجن أشهر ويبقى أهله بلا مُعيل، وربما أولاده سيخرجون في الطرقات ولا مُعيل لهم، فالإحسان أن تقول أنا ما وجدت منه تقصيراً، يعني هذا الحادث قضاءً وقدرًا، وما وجدت منه سرعه زائده، أو مُخالفة، فأنا أحسب له وأذهب إلى السجن وأخرجه ليعود إلى أولاده، فالعدل شيء والإحسان شيء آخر، وحياتنا لن تستقيم بالعدل وحده لا بُدّ من الإحسان.

الدكتور حسين:

من هم المُحسنون هنا؟ من هم هؤلاء الصنف؟ ما هي مواصفاتهم؟ كيف يمكن أن يحوزوا أو ينتزعوا مثل هذه الصفات؟

من هم المُحسنون وما هي صفاتهم؟

الدكتور بلال نور الدين:

المُحسين هو ذاك الشخص الذي بتّى حياته على العطاء، لا على الأخذ، بمعنى أنه قد يترك بعض حقّه، قد يتنازل عن بعض دينه، قد يتنازل عن بعض راحته في سبيل إسعاد الآخرين، أولئك هم المُحسنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)

(سورة البقرة)

الله تعالى يُحبُّ المُحسين، والله تعالى من أسمائه المُحسين جلّ جلاله، فهو مُحسِنٌ إلى عباده، بدأهم بالإحسان، قُلْ لِي بربك أجري دكتور حسين، لَمَّا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ بدأنا بالإحسان، هل قدّمنا شيءً لِمُحسِنِ إلينا جلّ جلاله؟ ما قدّمنا شيئاً، نحن ابتدأنا الله تعالى بالإحسان، فلَمَّا قال: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) فما الذي أحسن الله به إلينا؟ فابتدئ عبادة الله تعالى بالإحسان قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ (77)

(سورة القصص)

كيف أحسن الله إلينا؟ أحسن إلينا ابتداءً، لم تُقدّم شيئاً فجزانا، فالله تعالى لم يكن إحسانه ردّاً على جميل قدّمناه حاشاه جلّ جلاله، فأنت أيضاً أحسن كما أحسن الله إليك، أي ابتدئ الناس بالإحسان، لا يكن همك هو ردّ الجميل، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم، وهذا يندرج على كل الأحوال، يقول:

{ ليس الواصلُ بالمكافئِ ولكنَّ الواصلَ الذي إذا انقطعَتْ رحمته وصلَّها }

(أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد)

وإصل رحمه الذي يقول زارني سأزوره، أعطاني سأعطيه، واحدةً بواحدة كما يقول الناس، لا، قال (الواصل الذي إذا انقطعَتْ رحمته وصلَّها) هذا (وأحسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ).

الدكتور حسين:

هذا من صنف المُحسنين.

من صفات المُحسن أن يبتدئ الناس بالإحسان:

الدكتور بلال نور الدين:

هذا هو من صنف المُحسنين، لأنه يبتدئ الناس بالإحسان، هو لا ينتظر أن يُحسنوا إليه حتى يُحسِنَ إليهم، وإنما هو يُحسِنُ، لذلك قالوا: "إذا أحسنت إلى شخص فانسى إحسانك فوراً، وإذا أحسن إليك آخر فليكن ذلك في ذهنك دائماً"، بعض الناس يعكسون الآية، فإذا أحسن إلى شخص فإنه لا ينسى ذلك أبداً، وإذا أحسن الناس إليه يتناسى، بل العكس ينبغي أن يكون قائماً حتى تكون مُحسِناً حقاً، أن تُبدئ الآخرين بالإحسان، أن تُحسِنَ إليهم دون أن تنتظر منهم ردّاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)

(سورة الإنسان)

لا نريد منكم، نحن نريد جزاءً ونريد شكوراً لكننا لا نريده منكم، نحن مُحسنون، إذاً ممن نريدونه؟ نحن نريده من الله، فماذا كانت العاقبة في نهاية الآيات؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا (22)

(سورة الإنسان)

جاء الجزاء من الله، وجاء الشُّكور من الله تعالى، عندما أحسنوا إلى الخلق، وقالوا (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) جازاهم وشكر لهم خالق السماوات والأرض. فهذا هو المُحسِن، المُحسِن إنسانٌ لا ينتظر من الآخرين شيئاً، وإنما يُبادر إلى الإحسان إلى الآخرين، يبدأ بإحسان علاقته مع الله.

{ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ. قَالَ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَقْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ أَسْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: 34] الْآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ.

{

(صحيح البخاري)

ثم ينتقل إلى الإحسان إلى خلق الله جميعاً، بدءاً من أهل بيته الصغير، يُحسِن إلى زوجته فلا يسيء إليها، يُكرّمها، يتحمّل أذاها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَغْضَبُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آيْتُنَّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاصِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)

(سورة النساء)

قال أهل التفسير مُعاشرة الزوجة بالمعروف لا تعني أن تُلحق الإحسان بها فقط، وإنما إحسانك لها أن تتحمل الأذى منها، هذه المُعاشرة بالمعروف.

الدكتور حسين:

لكن هناك بعض الأصناف في القرآن الكريم خصّهم أو أمر بالإحسان إليهم، بالتخصيص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا (23)

(سورة الإسراء)

الإحسان للوالدين من أعظم أنواع الإحسان:

الدكتور بلال نور الدين:

نعم أعظم الإحسان بعد الإحسان إلى الله تعالى في عبادته، أعظم الإحسان هو أن تُحسِنَ لمن كانا سبب وجودك في هذه الحياة، ودقق أخي الحبيب في قوله تعالى: **(وَبِالْوَالِدَيْنِ)** هذه الباء تُسَمِّيها أهل التفسير بـاء الإلصاق، يعني لا ينبغي أن يكون الإحسان إلى الوالدين وإنما بهما، بمعنى أنه لا يُقْبَلُ منك أيها الابن أن تقول خصّصت لهما سائقاً وخادماً، وأنا أزورهما يوماً بالأسبوع أو في الشهر مرة، والتقي بهما وأطمئن على أحوالهما! إحسان عن بُعد لا يُقْبَلُ، **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** أنت ينبغي أن تذهب إليهما وتأخذهما بسيارتك، أنت ينبغي أن تزورهما يومياً وتتفقد أحوالهما، الإحسان عن بُعد غير مقبول مع الوالدين، لأنهما لقا أحسنا إليك أحسنا إليك مُلاصقةً، حملتك، ورعنتك أمك، ووالدك أنفق عليك، ورتاك ورعاك، و**(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** فينبغي أن يكون الإحسان من جنس الإحسان الأول، **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**، ثم دقق أخي الحبيب: **(وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)** وهذا إحسانٌ مع الله تعالى **(الْإِحْسَانُ أَنْ تُعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)**، **(إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)** فجعل ذلك العطف لبيان أهمية الإحسان بالوالدين، وأنهما كانا سبب وجودك.

من سبعة الإحسان أنه جاء بعدة مترادفات في القرآن الكريم:

الدكتور حسين:

من اللطائف في القرآن الكريم أنَّ الإحسان ورد أكثر من مائة وتسعين مرّة، لكن أيضاً وجوه الإحسان في القرآن تقلّبت على ثلاثين وجه، منها مثلاً حَسُنَ، أَحْسَنَ، الحُسْنَى، المُحْسِنُونَ، يعني أنا أتوقف عند بعض الآيات، قوله تعالى مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)

(سورة الكهف)

قوله تعالى مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا (125)

(سورة النساء)

في قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22)

(سورة لقمان)

هذه الترادفات في الأوجه، أو التبادلات في الأوجه في القرآن الكريم، في تفصيل معنى الإحسان هل تمنحنا دلالات مُعيّنة؟

الدكتور بلال نور الدين:

بالتأكيد، أخي الحبيب أحياناً تأتي كلمة في القرآن الكريم تأتي على وجه واحد، كاسم الفاعل مثلاً، أو تأتي بوجه اسم المفعول، أو بالفعل وحده، مثلاً لفظ العقل بالقرآن لم يرد إلا بالفعل، يعقلون، عقولهم، وهم يعلمون إلى آخره، أفلا يعقلون، لكن أن تأتي الكلمة بتصريفاتها المتعددة، ولغتنا لغة الاشتقاق، فهذا يدل على شجاعة الدائرة، الله تعالى عندما قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

(سورة الأنبياء)

(فِيهِ ذِكْرُكُمْ) فيه عِزُّكُمْ وِشْرَفُكُمْ هَذَا مَعْنَى، لَكِنَّ الْمَعْنَى الْثَانِي (فِيهِ ذِكْرُكُمْ) أَي يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِرَائِهِ، فَأَنْتِ عِنْدَمَا تَقْرَأِ الْقُرْآنَ وَتَجِدِ لَفْظَ الْإِحْسَانِ، الْمُحْسِنِ، أَحْسَنَ عَمَلًا، وَهُوَ مُحْسِنٌ، (وَإِحْسِنُوا إِلَى اللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) إِلَى آخِرِهِ، فَهَذَا ذِكْرٌ لَكَ، فَتَأْتِي أَنْتِ وَتَقِيسِ نَفْسَكَ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَعَلَى الصِّفَاتِ، وَعَلَى الْأَسْمَاءِ فَتَنْظُرِ فِي أَيِّهَا أَنْتِ، هَلْ أَنْتِ فِي مَرْتَبَةِ مَنْ يُحْسِنُ حِينًا وَيَدْعُ الْإِحْسَانَ حِينًا؟ أَمْ أَنْتِ ارْتَقَيْتِ وَأَصْبَحْتِ فِي مَرْتَبَةِ (وَهُوَ مُحْسِنٌ) حَالَهُ جَالِ الْإِحْسَانِ؟ أَمْ صَرْتِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) فَانظُرِي فِي أَيِّ مَجَالٍ أَنْتِ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا تَعَدَّدَتْ وَتَنَوَّعَتْ فِي النَّصِّ، وَنَحْنُ هُنَا أَمَامَ نَصِّ قِرَائَتِي مُذْهَلٌ وَمُعْجَزٌ، فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَتَلَمَّسِ ذِكْرَكَ فِي كُلِّ مَوْقِعٍ، فَهَذَا مِنْ يُحْسِنُ هَذَا فِعْلٌ، وَهَذَا مِنْ حَالِهِ الْإِحْسَانِ (وَهُوَ مُحْسِنٌ) بِحَالَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَهَذَا مِنْ أَصْبَحَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، يَعْنِي لَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْإِحْسَانِ، صَارَ أَهْلًا أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ لِقَابُ أَوْ لَفْظُ الْمُحْسِنِ، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

الإحسان يشمل كل ما في الحياة وحتى الجمادات:

الدكتور حسين:

أحياناً أشعر كما قلت دكتور أنّ هذه التوزيعات في المعاني تنصرف أيضاً إلى أنّ الإحسان يشمل كل شيء كما قلت، المواقع، الأخلاق، الأحكام، كل ما في الحياة يشملها هذا المفهوم، بحيث عندما نقوم بعمل، أي عمل سواءً كان صغيراً أو كبيراً، سواءً كان يتعلق بعملنا كوظيفة، بعملنا في مجال دعوي، يتغلغل الإحسان داخله.

الدكتور بلال نور الدين:

مئة بالمئة أخي الحبيب، بمعنى أنك اليوم إذا كنت تمشي في حفل وهناك نملّة تمشي، فإنك لا تدوسها بقدمك عمداً، هذا مكانها، هذا بيئتها، فإنك لا تتعمد أن تدوسها، إذا كنت تقود سيارتك وأمامك قطة تعبر الشارع فإنك تنتظرها، إلى هذا الحد؟ نعم إلى هذا الحد، النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

{ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ. }

(صحيح مسلم)

شفافية عالية، معجزة هذه للأنبياء، لكن هل تعاملنا بالإحسان حتى مع الجمادات؟ حتى مع ترشيد الاستهلاك، حتى مع الماء، قال له:

{ أَنَّهُ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرْفُ؟! قَالَ: أَفِي الْوَضُوءِ سَرْفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ }

(أخرجه ابن ماجه وأحمد)

أخذ كأس من الماء فلمّا بقي فيه شيء أعاده إلى النهر، نهر جارٍ ماذا تفعل؟! قال: ينتفع به قومٌ آخرون، فالإحسان أخي الحبيب هو أن تأتي بالفعل الحسن في كل شيء، في كل شأن من شؤون حياتك، ولما تنوعت هذه الكلمة في مواضع عديدة في كتاب الله تعالى، في عشرات المرات، نعم هذا بلا شك إشارة إلى أنّ مواضع الإحسان متعددة، فتارةً يكون الإحسان مع الخالق عبادةً، وتارةً يكون مع رسول الله تأسبياً واتباعاً، وتارةً يكون مع الوالدين، ومع الزوجة، ومع الأولاد، ومع الخدم، ومع الأعداء، هل هناك إحسان مع الأعداء؟! نعم هناك إحسان مع الأعداء، مع الأسرى، هناك إحسان، مع العدو عندما تُسالم وعندما تُحارب، تُحارب بإحسان وتُسالم بإحسان، كل شيء في حياتنا يمكن أن يكون بإحسان، ويمكن أن يكون بإساءة والعباد بالله تعالى، فالمؤمن يبني حياته على الإحسان، يبني حياته على العطاء، يبني حياته على أنّ علاقته بالآخرين سينتظمها الإحسان، فأحسِن، اليوم عندما أقود سيارتي في الطريق، وهناك آخر ورائي يريد أن أفتح له الطريق، وبإمكاني أن أفتح له الطريق، فإنا عندما أبني علاقته على الإحسان نعم أفتح له الطريق، ما الذي يصيرني؟ لماذا أصيّق عليه الطريق هذا ليس من الإحسان، عندما أطلق بوق سيارتي، هل أطلقه بلا سبب لإزعاج الآخرين؟ هذا من الإحسان وهكذا.

الدكتور حسين:

نعم هذا يُضيف إلى حياة الإنسان، وإلى العالم بالتالي، إلى كل العالم مسألة جمالية غير موجودة أصلاً، يعني أنت عندما تتصور أنّ الحياة تمشي مثلاً على العدل أو على القانون، فتتصور شكلاً للحياة مُعَيَّنٌ مُنْضَبِطٌ، ربما يكون أيضاً مُثَلِّلاً لكن عندما يدخل الإحسان في هذا المجال، يُبَيِّرُ أَفْقًا أَكْبَرَ فِي الْعَالَمِ، يَصِيحُ الْعَالَمُ أَكْثَرَ إِشْرَاقًا، أَكْثَرَ جَمَالًا أَيْسَ كَذَلِكَ؟

الإحسان هو حياة لقلب المحسن لأنه يحسن لنفسه أولاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَآ أَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ الْآثَامَ مِنَّا مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا
بِعَيْطِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)

(سورة آل عمران)

الغيظ والإساءة تُميت الإنسان، يموت بغيظه، لكن عندما يُحسين نقول له: عيش بإحسانك، كُن حَيًّا بإحسانك، فالإحسان حياة، حياة لقلب الإنسان أولاً، فالمُحسين أولاً يُحسين لنفسه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ □ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا □ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)

(سورة فصلت)

فأول ثمرة من ثمرات الإحسان، أنَّ المُحسين يعيش في سلام مع ذاته، يعيش في فضيلة، في قيمة عظيمة جداً، وهي قيمة أنه يعفو، يُسامح، لا ينتظر من الآخرين شيئاً وإنما ينتظر أن يُعطي، فهذه قيمة نفسية عظيمة للإنسان، ثم بعد ذلك يبدأ هذا الخير يُعمُّ، فأننا لَمَّا أمرني الله تعالى بالإحسان، أمر مليار إنسان أن يُحسينوا إليّ، في الوقت ذاته وفي الوقت نفسه فيعمُّ الخير، فأننا أحسين، والإحسان يجلب الإحسان، قالوا العُنف لا يجلب إلا العُنف، والإحسان لا يجلب إلا الإحسان، فلَمَّا أحسين في بيتي تُحسين زوجتي لي (هَلْ خَرَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ) قاعدة عظيمة، ولَمَّا أحسين إلى أولادي سيُحسين أولادي لي عندما يكبرون، وعندما تُصبح عندهم وعي يُحسينون إلى والديهم، وعندما أحسين إلى أرحامي سيُحسين أرحامي لي، وعندما أحسين إلى شريكي سيُحسين شريكي لي، هذه سُنَّة الحياة، الإحسان يأتي بالإحسان.

الدكتور حسين:

إذاً هو بوصلة لضبط حركة الإنسان في هذه الحياة، وبالتالي الحياة تُصبح أكثر جمالاً وأكثر هدوءاً وأكثر سلامة أيضاً. أشكر فضيلة الدكتور بلال نور الدين أستاذ الشريعة والفكر الإسلامي، بارك الله بك دكتور أشكرك جزاك الله كل خير.

الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم وحفظكم، شكراً لك.